# أسس بناء المنهج المؤصل

**د. إبراهيم الصادق سالم محمد**
أستاذ أصول التربية المشارك
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

# أســـــس بنـــــــاء المنهـــــج المؤصـــــل

د. إبراهيم الصادق سالم محمد


## ملخص البحث

هدف هذا البحث لبيان الأسس البنائية للمنهج المؤصل، وهي الأساس الفلسفي، المعرفي، النفسي والاجتماعي، فهي تعمل متضامنة كل منها يفضي إلى الآخر في تكامل وظيفي وتداعم استقلالي وحركة متسقة لتكوين الإنسان المتكامل في شخصيته الإنسانية.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمحتوى هذه الأسس وما يدل عليها من آيات من القرآن الكريم والأدب التربوي لبعض العلماء التربويين والأصوليين.

توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

- بناء المناهج على هذه الأسس تكامل للنظرة السليمة التي ولدتها.
- تنظيم محتوى المادة في نسق منهجي يشكل نسقاً معرفياً منظماً في ذهن الطالب.
- المرجعية الحاكمة للدين تولد القدوة الحية والنموذج المتحرك.

يوصي الباحث بـ:

- إقامة نظام التعليم (العالي- العام) على أساس معرفي، قيمي، اعتقادي.
- تأصيل مناهج التعليم في كافة مراحلها.
- مراعاة وظيفة التعلم وفقاً للميول والإرادة.
- الاهتمام ببناء المناهج التقنية مواكبة مع تطورات العالم.
- جعل معايير للتفوق باكتساب المهارات وللتميز بالتمسك بالقيم.


## مقدمـــــة

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) القائل: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي) (رواه البخاري).

الهداية في هذا القرآن للتي هي أقوم، على وجه الإطلاق في من يهديهم وفيما يهديهم، فيشتمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود زمان أو مكان، ويشتمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وفي عالم العبادة بالموازنة وفي علاقات الناس بعضهم ببعض وفي نظام الحكم والمال والاجتماع والتعامل اللائق بعالم الإنسان في إطار خارج عن قيد الزمان والمكان، ويضع القاعدة الأصيلة في العمل والجزاء.

تميز الأثر القرآني في تاريخ البشرية بأنه مصدر التوجيهات الخلقية والتزكيات الروحية، ترتبط فيه الأحكام والتوجيهات ولا تنفك فيه التوجيهات الأخلاقية عن القوانين والأحكام، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧).

تعلقت أحكامه بالكليات الجامعة وبإيراد الأحكام في الوقائع المحددة ليستنبط منها أحكاماً قياسية أو عبراً مستفادة، اشتمل على قيم ومعايير عالية ورسم أنموذجاً إنسانياً عالياً وأشار إلى مدارج الصعود وحذر من مزالق الانحدار ولكن أسسها بسيرة مثالية في درجتها وبشرية في طبيعتها، لذا علق الإنسان بمطلق التربية.

لقد ظل أثر القرآن الكريم المصدر الروحي والفكري والعلمي وسر نجاح كثير من حركات الإصلاح، قائماً على مدى ملاءمتها لتحقق النموذج الأعلى وفق متطلبات عصرها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

**مشكلة البحث:**

لقد اختصر الوحي لنا كثيراً من تجارب الخطأ والصواب، ووفر علينا الكثير من إهدار الطاقات في مجال النظرية الفلسفية وبقي المطلوب من التربية الاجتهاد في إبداع الطرق والوسائل والآليات التي تحدث التفاعل في داخل الإنسان نفسه ومع غيره.

إن المستقبل لهذا الدين لا تواجهه المصاعب على مستوى الإيمان به اعتقاداً، على قدر ما تواجهه على

مستوى العمل به سلوكاً، ففعاليته في الحياة تكون دوماً مرتبطة بما يكتب له من التنزيل في الواقع لا بما يتحقق له من الوجود في الأذهان حفظاً واستظهاراً.

إن مناهجنا في تعليمنا المعاصر غابت فيها القدرة على بناء المعرفة وحضر فيها التلقين والنقل عوضاً عن البناء المعرفي التفاعلي الذي يسهم فيه العالم والمتعلم، مما حرم المتعلم من منهجية التفكير تعينه على التكوين الذاتي المستمر ومن تنمية مهارات النقد والتحليل التي تشكل لب العملية التعليمية.

إن المعرفة الإسلامية بنيت بالسؤال وانفتحت على سائر ا جالات لتنمية المهارات المختلفة وترسيخ القيم في تكامل ثلاثي بشكل أضلاع مثلث المنظومة العلمية، المعرفة والمهارة والقيمة. ويمكن إجمال مشكلة هذا البحث في هذا السؤال ما أسس بناء المناهج حتى تحقق لنا ذلك التكامل الثلاثي المعرفي، المهاري، والقيمي، حتى تنتقل الأمة من الغثائية والتبعية الحضارية إلى مكانة الخيرية والشهادة على الناس. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وتتفرع منه أسئلة البحث الآتية:

١- ماهية أسس بناء المنهج؟

٢- ما مكونات الأساس العقدي الفلسفي وما يتعين عليه في تكوين المناهج؟

٣- ما مكونات الأساس المعرفي وما يتعين عليه في تكوين المناهج؟

٤ -ما مكونات الأساس الاجتماعي وما يتعين عليه في تكوين المناهج؟

٥ -ما مكونات الأساس النفسي وما يتعين عليه في تكوين المناهج؟

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى تحقيق:

١- بناء مناهج تعليمية على أسس إسلامية.

٢- إخضاع المفاهيم المفاتيحية للعلوم لأوامر الشرع ونواهيه.
٣- تحقيق نظام علمي اعتقادي معرفي قيمي.
٤- إعداد قدوة وممارسة حسنة على أثر القدوة الحية المتحركة.

**أهمية البحث:**

تأتي أهمية البحث في الآتي:

- تنظيم الدروس في مفاهيم مفاتيحي تعمل على حل المشكلات بدلاً من تلقي الحقائق فقط.
- مساعدة الطالب في تمليك منهجية التفكير.
- جعل الدين مرجعية حاكمة للنظام التعليمي.

**منهج البحث:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمحتوى الأسس الفلسفية والمعرفية والنفسية والاجتماعية الإسلامية لاستنباط ما يعين واضعي المناهج.

**مصطلحات البحث:**

**الأسس:** هي الأصول التي يستند إليها في المادة والتفاعلات والتجديدات والطموحات وهي ميدان تلتقي فيه تطبيقات مجموعة علوم وثيقة الصلة متداخلة الدوائر.

**المفاهيم المفاتيحية:** هي العلاقات التي تكون بين المتغيرات، وهي المرحلة التي يتم فيها استخراج المعاني التي تدل عليها الألفاظ.

**المنهاج:** هو مجموعة المسارات التي تتألف منها ميادين الحياة المختلفة وما على هذه المسارات من مهارات أقامها الدين لتبين الحلال والحرام، وليشهد العقل والسمع والبصر في ضوئها معارف كل مسار وعلومه.

المبحث الأول

## الأساس العقدي الفلسفي

تؤسس التربية الإسلامية فلسفتها على منظومة متكاملة من المفاهيم والكليات التي توضح بمجموعها التصور الإسلامي الشامل للكون الإنسان والحياة، وتمثل إطاراً فكرياً يساعد في تحديد أهداف المنهج واختيار مضمونة ومنشطه وأساليب تقويمه في منظومة يتسق فيها البناء والتكوين.

الفلسفة الإسلامية والرؤية الفكرية

المرتبطة بالعقيدة هي أفضل أساس يمكن أن تبنى عليه مناهجنا، لأنها ألاهية المصدر والتوجيه، ومرشدها الوحي سواء كان شهادة أم غيباً، فالنظام الاعتقادي الفلسفي يشمل التصورات والتفسير الكلي للكون والإنسان والحياة وتنشأ عنه المثل العليا.

المطلب الأول

## نظرة الإسلام إلى الكون

يرى الإسلام أن الكون مخلوقٌ لله تعالى خلقاً هادفاً، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

ثم الحمد لله الذي بدأ الرسالة الخاتمة بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، فجاءت القراءة المطلوبة لكل عناصر الوجود باسم الله... ليحسن التعامل مع الكون ويدرك قوانين التسخير ويمتلك الأبجدية الإسلامية للقراءة الصحيحة من منظور باسم الله.. ويستشعر فضل الله الأكرم الذي يترافق مع المعارف والعلوم كلها (إسحق أحمد الفرحان، ١٩٩٩م).

وعليه فلا ينبغي أن ينظر لأية ظاهرة كونية بغير هذا المنظار العقدي السليم الذي يؤمن إيماناً قاطعاً بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون ومسخره لعبده.

وعلى واضعي المناهج تناول هذا الكون بالدراسة والتفكير، واكتشاف قوانين الله وسنته، فإن المناهج الدراسية في ضوء نظرة الإسلام إلى الكون ينبغي أن تتضمن:

- تربية الطالب على الارتباط الدائم بالله سبحانه وتعالى، والخضوع المطلق لأوامره كما يخضع له الكون كله بكائناته، وهو جزء من هذا النسق الكوني.
- التأكيد على أن أقوات الأرض مقدرة فيها، ولذلك ينبغي تدريب المتعلم

على العمل الجاد لمعرفة ما سخره الله وما خلق له من النعم وحثه على استخراجها واستثمارها وتوزيعها بالعدل وفق منهـج الله، قال تعالـــى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠).

- تأكيد أنَّ الطبيعة خلق لله نظّمها وخلق فيها قوانينها التي ينبغي أن تكتشف بها وتستغل لها في عمارة الأرض وترقية الحياة.
- تأكيد أن الكون غيب وشهادة وأن الإيمان بالغيب هو أول صفات المتقين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) ، وإن عالم الغيب يعلمه الله وحده، وهناك غيب متشيء يصبح عالم شهادة) (ماجد عرسان، ٢٠٠٢م) ، وعلى الإنسان أن يتعامل مع عالم الغيب كما أمره الله ومع عالم الشهادة بالدراسة والبحث واكتشاف قوانين الله فيه وتسخيره لأعمار الحياة.
- تأكيد أن النصوص القرآنية قطعية الدلالة، ونهائية في تقرير الحقيقة، ومن ثم لا يجوز أن يستشهد على صدقها بالقوانين والنظريات العلمية المتصلة بالدراسات الكونية.
- تأكيد أن عنصر الجمال مقصود لذاته في بناء الكون وظواهره وإيقاظ حاسة الجمال في البشر مقصودة لذاتها من أجل الآتي:
  - × المضامين الجمالية التي يطرحها القرآن الكريم عناصر ضرورية متممة لتجربة الحياة المؤمنة المستقيمة.
  - × الأسلوب الجمالي يربي الإحساس بالجمال وتذوق القيم الكامنة في الحياة والإحياء.
  - × التدريب على الإحساس بالجمال والتناسق في هذا الكون وما فيه من إبداع طبيعي.
  - × نقل هذا الإحساس الجميل إلى علاقته بالكون والإنسان والله.
  - × تنمية قدرته في التعامل مع الأشكال والألوان والأحجام المتناسقة والقيم المنضبطة.(عماد الدين خليل، ٢٠٠٠م) .

**تعمل التربية الجمالية لتوجيه هذه الجوانب المهمة، وهي:**

- لفت النظر للكون الذي يعيش فيه، والأحياء التي تعيش معه بخصائصها الجمالية لتحقيق العلاقة المتبادلة بينه وبين الكون الذي سخر له، ليقوم بوظيفة الاستخلاف والإعمار والإصلاح من أجل تحقيق إيماناً قوياً يخالف هذا الكون وانسجاماً وتفاعلاً مع هذا الكون بإعمال حواسه فيه، تأملاً وتدبراً وتفكراً في خلقه وإبداعه.
- تربية المسلم على ربط بين الجوهر والمظهر، الظاهر والباطن، الشكل والمضمون حتى لا يقف عند الشكل الجميل والمظهر الخادع ثم لا يحمل قيمة جمالية تمثل مضمونه وجوهره وتعزز هدفه ومطلوبة في تباين الحق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) .
- تجاوز الشكل الخارجي وصولاً إلى الجوهر تحريراً من الإغراء والخضوع للزينة لكي يكون الإنسان وهو يملك حريته أكثر فعالية وعطاء وأعمق بتجرده وأكثر ارتباطاً بالسماء.(عباس محجوب، ٢٠٠٠م) .
- الإيمان العميق بأن السنن التي تحكم الكون قدرٌ من قدر الله تعالى، والتعرف عليها والانضباط بمقتضاها هو حقيقة التكليف وحقيقة الإيمان والتوكل، وهي مظهر من مظاهر العدل الإلهي المطلق.(عمر عبيد حسنة، ٢٠٠٠م) .

المطلب الثاني

**نظرة الإسلام إلى الإنسان**

يرى الإسلام أن الإنسان خلقٌ لله سبحانه وتعالى خلقاً هادفاً ليعبده ويتقيه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات٥٦) .

الإنسان كائن مخلوق مكرم، قال تعالى:، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) ، ومع هذا التكريم لم يترك الله هذا الإنسان سدى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ

أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦) ، بل هو محاسب على جميع أعماله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧) . ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٨) ، وتلك المحاسبة قائمة على مبدأ الحرية الكاملة للإنسان، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ، ولكنها الحرية التي تستلزم المسؤولية التامة عما يصدر من الإنسان من خير أو شر.

فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية ينطلق الإسلام عن فهم عميق للنظر المتكامل للإنسان يتألف من روح وعقل وجسم ونفس، الروح تمثل السر الإلهي الذي لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) ، والعقل نشاط وظيفته فكرية يستخدمه الإنسان للتصدي إلى الحقيقة والإيمان بها، والعقل مناط التكليف ومحور المسؤولية وبه ميز الإنسان على سائر المخلوقات، وبقدر ما يستخدم الإنسان فكره وعقله يرقى في سلم الكائنات وإذا ألغى عقله انحط إلى رتبة الحيوانات التي لا تعقل.

والنفس فقد فسرها القرآن الكريم بأنها القوة الحيوية التي تشمل الإرادة والغريزة وهي تعمل واعية وغير واعية، وتلهم الفجور والتقوى وتحاسب على ما تعمل، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٧) ، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨) ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩) ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠) .

وأما الجسم فقد نظر إليه الإسلام على أنه مكون مهم من مكونات الطبعة الإنسانية، وأن قوة الجسم تعد من أسباب سيادة الإنسان وقدرته على أداء دوره في الحياة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧) ، والتربية الجسمية يقصد بها تهذيب

الطاقة المنبثقة من الجسم والمتمثلة في مشاعر النفس.(محمد قطب، ١٩٩٥م) ، يعترف الإسلام بهذه الطاقة ولكنه يربيها ويضبط تصرفاتها، كما أن الإسلام يحرص على المظاهر الجسمية والنفسية في مجال الجنس يجب أن يكون الرجل واضح الرجولة والأنثى واضحة الأنوثة، قال (ﷺ) : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال) (رواه مسلم) .

إن الدوافع الفطرية هي خلاصة ذلك المزيج الكامن في بنية الجسم والنفس وأنها رغائب تحف بها الألم واللذة، لذلك نظمها الإسلام بعدم الإسراف حتى يكون هناك جمال يتمثل في حسن الأداء لا في مجرد الأداء. (محمد قطب، ١٩٩٥م) .

والمناهج في ضوء نظرة الإسلام للإنسان تبنى عليها ما يأتي:

- لا يمكن إدراك حقيقة الإنسان إلا إذا أدركنا أنه من مخلوقات الله في الكون له وظيفة وهي عبادة الله، وله غاية وهي أعمار الأرض.
- الإنسان مخلوق خاص ذو كيان متميز، مستخلف في هذه الأرض مجهز بالنهوض بوظيفة الخلافة على عهد من الله هو السمع والطاعة.
- استعداد الإنسان حسب تكوينه الذاتي إلى ان يرقى في آفاق المقربين، كما أنه مستعد لأن ينحط إلى أدنى مدركات الحيوان.
- الإنسان قد كُرم بجعله مخيراً في شطر من حياته وجعله مسيراً في شطر آخر.
- ربط حركة الإنسان في الدنيا بمصيره في الآخرة، فثواب الآخرة مرهون بإحسان القيام بواجبات الخلافة في الدنيا.
- التأكيد على أنه لا توجد في الإسلام خطيئة موروثة وذنب لا يغفر إلا الشرك بالله .

المطلب الثالث

## نظرة الإسلام إلى الحياة

الحياة مخلوقٌ خلقا هادفاً لله وإنها مقدمة للحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨) ، والمسلم مطالب بالموازنة الدقيقة بين

الحياتين، يقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، لذا كل شيء من شؤون الحياة يجب أن يسير وفق منهج الله، والفوز في الآخرة لا يكون إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، ومن حكمة الله أن يجعل في هذه الحياة تعباً ونصباً ومجاهدة حتى يتعود الإنسان الصبر على المكره ومجاهدة النفس وإعمال الفكر في حل المشكلات، قال تعالى:. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤).

لذا يتعين على واضعي المناهج في إطار نظرة الإسلام للحياة أن يتضمن الآتي:

- الماء هو أصل الحياة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).
- كل ما يدب على وجه الأرض من أحياء أمم كانت تنظيمات كالبشر وأن الله هو الذي أودع هذه الأمم فطرتها وضوابطها، فالإنسان هو قمة هذه المخلوقات وأنها مسخرة له.
- على الإنسان فهم سنن وقوانين هذه الكائنات وتلك الأحياء حتى يستطيع تسخيرها.
- الحياة قائمة على قاعدة الزوجية والتنوع الاجتماعي المفضي إلى الوحدة والتكامل.(عبد الحميد أبو سليمان، ٢٠٠٥م)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).
- تعويد المتعلمين الصبر على المكره ومصاعب الحياة ومشكلاتها.
- تأكيد الموازنة الوسطية في سلوك المتعلمين بين الحياة الدنيا والآخرة والدنيا مطية الآخرة.
- التأكيد على أن الأحياء مكفولون برزق الله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ

فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦) ، والعمل والكسب عبادةً لله سبحانه وتعالى وأساس حضاري يشهد عليه علم الله وأتباع سنة نبيه (ﷺ) ومنفعة للمسلمين به ويحاسب عليه المرء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) .

## المبحث الثاني
## الأساس المعرفي

الحمد لله القائل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩) .

نزل القرآن الكريم لينشئ نظاماً معرفياً، وهذا النظام بخصائص القرآن الذي شمله كفيل بربط البشرية تخالفها من جهة وتمكنها من اكتشاف الآيات الكونية وتسخيرها من جهة أخرى لتكون الأجيال المتعاقبة قادرة على القيام بواجبات الأعمار والاستخلاف باستخدام أنواع العلوم والمعارف المتجددة والمنظومة على الدوام.(عبد الوهاب سر الختم، ٢٠٠٧م) .

ويرى الباحث أن هذا لا يتحقق إلا بتأصيل العلوم والمعارف أي بناء العلوم والمعارف على نهج الإسلام (مؤتمر التأصيل- جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، ٢٠١٣م) .

ويرى محجوب عبيد أساس مبادئ التأصيل في الكون والوحي كالآتي:

**أولاً:** الكون خلق الله المشاهد وراءه تدبير وحكمة، وهذا يقود إلى فرضية وجود النظام والقانون الطبيعي.

**ثانياً:** الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية بالموجودات والمغيبات، وهذا يقود لمحدودية التصور البشري.

**ثالثاً:** المعرفة البشرية مهما أتقن اختبارها بالتجربة – ظنية – إلا ما أيده المتعلقة بصفة خاصة، وهذا يقود لمبدأ تعددية النظريات والنماذج المتعلقة بذات الحقائق والنظريات الكونية، وهي من مميزات العلم الطبيعي ومهيأة لحكمة التنظير والتطوير للمفاهيم.

**رابعاً:** الإنسان هو المخلوق العاقل المكلف بعبادة الله والانصياع لأمره بتدبر أحوال الكائنات وخصائصها وتفاعلها واستنباط سنن الله في الخلق وهذا يقود لمبدأ البحث عن القانون الطبيعي بالمشاهدة والتجريب والتأمل، ويرى الباحث أن رابعاً هي عبارة عن مفهوم التأصيل الذي يقود إلى البحث من أجل الاستخلاف والإعمار.(محجوب عبيد طه، سلسلة البحث الحضاري، ١٩٩٥م) .

ومما يميز هذا النظام المعرفي الوحي أنه يقوم على الإيمان والعلم والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥) . ومن هذا المنهج الإبراهيمي ندرك أن النظر في آيات الله الكونية بإخلاص القلب الباحث عن الحقيقة هو الذي يقود إلى العلم والإيمان معاً اللذان يؤهلان إلى العمل الصالح في نفسه ومصالح لغيره.

ولما كان دور الجامعة يشتمل على التدريس والبحث وخدمة المجتمع، نجد أن نظام الوحي يحقق هذه المطالب جميعها.

## الأصول التي اشتمل عليها النظام القرآني (نظام االوحي) :

الأصول هي الأسس التي يستند إليها في المادة والتفاعلات والتجديد والطموحات(سعيد إسماعيل، ٢٠٠٥م) ، وهي ميدان تلتقي فيه تطبيقات مجموعة علوم وثيقة الصلة متداخلة الدوائر في أن العلم الواحد قد يتفرع إلى افرع كثيرة تتضافر لتحقيق ذلك الأصل.

يتميز النص القرآني بأنه لسان عربي ترى بالدلالات والإشارات العلمية والتربوية والنفسية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣) .

فما أحوج المسلمين لقراءته قراءة منهجية يؤسسون عليها المناهج ويستلهمون منها الأهداف ويستمدون منها الطاقة يضعونها في نظام تربوي متكامل له أسس وأهداف ووسائل وأساليب تسعى لعلاج مشكلات العصر وترتقي بالمجتمع الإسلامي إلى مواقع السيادة والشهود الحضاري.(عمر عبيد حسنة، ١٩٩٩م) .

ومن أهم تلك الأصول:

أولاً: **تحقيق العبودية لله:**

مقام العبودية مقام تشريف وافتخار، كما أن الاستعانة به مقام خضوعٍ وافتقار، جمعت.في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) .

ويتحقق المعنى لهذا اللفظ المؤكد مسبقاً للعبودية والاستعانة بتحقيق الحرية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وهنا يقول رب العزة والجلالة هذا ما بيني وبين عبدي، وما تهدف إليه التربية هي العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) .

وقد نعت الله سبحانه وتعالى الرسول (ﷺ) في أسمى مواقف الدعوة وأدق مراحلها بالعبودية، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ (الكهف: ١) ، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١) ، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد: ٩) .

ويرى الباحث أن العبد كلما ارتقى في عبوديته بربه سبحانه وتعالى نال مكاناً عليا من المعرفة، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢) .

فإذا كان الوحي يتكون من الكون المنظور والكتاب المسطور، فالكون خلق الله، والكتاب كلام الله، والعبد عبد الله، فالقاسم المشترك أنكم لله جميعاً، فالخلق ثابت والكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فما على العبد إلا أن يرتقي لتلك الدرجات التي تجعله عبداً لله وبذلك تكتمل المنظومة كلما ارتقى العبد في عبوديته، متمتعاً بمعرفة كون ربه من خلال كتابه، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١) ، ويقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥) .

ثانياً: **تأصيل القرآن الكريم للمنهجية العلمية:**

أرسى القرآن الكريم مبادئ تربوية تحكم تعامل العقل البشري مع عوامل الفكر والأشياء، وقد تمثلت قواعد المنهجية في النقاط الرئيسية التالية:

**أ- بناء الحقائق على الدليل والبرهان:**

حث القرآن الكريم على تتبع الحقائق والتثبيت من صدقها دون اعتماد على الظن والهدي والتقليد في إثباتها أو نفيها، وطالب القرآن الكريم الإنسان بإقامة الدليل على دعواه والإتيان بالبرهان على ما نقول، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

كما حذر القرآن الكريم من إصدار الأحكام بلا دليل بين أو برهان قاطع، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).

**ب- محاربة معيقات التفكير الصحيح:** ومن تلك المحاربات:

**١- دعوة العقل إلى الابتعاد عن الظن في استنتاج الحقائق:**

دعا القرآن الكريم إلى نقض الاستدلال الذي يقوم على اتباع الظن واعتبر الاعتماد عليه مخالفة للمنهج العلمي في الوصول إلى الحقائق والاستنباط الصحيح، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨).

كما بيّنت الآيات أن مبدأ الأكثرية (أكثر الناس- الديمقراطية في الغالبية الميكانيكية)، فالمزعم والفروض لأثبتها كثرة من يقولونها بل ما تبنى عليه من علم صحيح وما يثبتها من دلائل وبراهين تنتهي إلى اليقين، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٣٦).

**٢-محاربة التقليد الأعمى:**

كما لا يصح اتباع الظن لا يعتد بالتقليد الذي يعوذه الدليل، لقد عاب القرآن الكريم المقلدين وذمهم وسبقه مذهبهم العقلي ويتذرعون بأنهم وجدوا آباءهم يفعلون كذا فقلدوهم في الجهل والشرك والضلال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ

آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤) .

وهذا الذم للتقليد لأنه يقتل التفكير ويلغي دور العقل في التأمل والتدبر والنظر ويطمس الإنسان ويلغي دوره في التجديد والإبداع. وقد دأب السابقون من المشركين في معاندتهم للرسل بالاستشهاد بمقولتهم الشهيرة: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ، ولقد نفى القرآن الكريم على أصحابها مآلهم العقلي الذي تردوا فيه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣) .

### ٣- ذم اتباع الهوى:

اتباع الهوى المذموم يعني الاستجابة لميل النفس وتحقيق رغباتها دون الوقوف عند حد الشرع والعقل في الفعل. (ابن قيم الجوزية، ١٩٨٢م) .

فمتتبع هواه يجعل من رغباته وشهواته قائداً يقوده دون فكر وتأمل في العواقب مما يفقده قدرته على الاختيار وإرادته في السيطرة على ذاته وتصرفاته ويجعل على قلبه غشاوة تمنعه من رؤية الحق وأتباعه، لذلك قرر القرآن الكريم من أتباع النفس هواها وأمر بمجاهدتها وحملها على الخير والإصلاح، وإن خالف ذلك رغبتها وميلها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤١) (ماجد زكي الجلاد، ٢٠٠٤م) .

وتجريد النفس عن الهوى يعبر عنه بالموضوعية التي هي شرط لازم لأي عمل علمي، وهي تعني تجريد الإنسان عن ذاته وهو يسعى لاكتشاف الحقيقة وعرض ما توصل إليه من نتائج دون تغيير أو تبديل أو تحريف، سواء وافقت ميوله أو خالفته. (عبد الرحمن عدس وآخرون، ١٩٩٥م) .

## ثالثاً: تأصيل القرآن الكريم لمنهج البحث العلمي:

لقد كان منهج البحث قبل نزول القرآن الكريم يعتمد على الخرافات والأساطير والعبودية لمظاهر الكون ونواميسه، مما أعاق التقدم والتطور العلمي عندما جاء القرآن الكريم أرسى قواعد المنهج الاستقرائي، الاستقراء منهج علمي يبدأ

بالجزئيات ليصل إلى الكليات، بينما الاستنباط يعتمد على قضايا ومسلمات قائمة ليخرج منها بنتائج. (عمر محمد زياد، ١٩٨٣م) .

لذا أنكر العقل الإنساني التفكير الاستقرائي ليكمل به التفكير الاستنباطي في البحث عند المعرفة.

تعد الملاحظة العلمية الدقيقة أولى خطوات المنهج الاستقرائي، وهي خطوة أكدتها العديد من الآيات القرآنية التي دعت الإنسان للتفكر في كل ما يحيط به.

وثمرة الملاحظة في المنهج القرآني تنتهي إلى التعرف على خالق الكون وعظمته من خلال التفكر في بديع خلقه وعظم مخلوقاته. (ماجد زكي، ٢٠٠٤م) .

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧) .

لقد نهج القرآن الكريم نهجاً بارعاً في الانتقال بالعقل من المحسوس إلى المجرد والمشاهد إلى الغائب في منهجٍ منطقي استدلالي، حيث يوجه العقل أولاً بالأسئلة الداعية المقروءة والمشهودة، وجمع الأدلة والبراهين العقلية والمقارنة بين البدائل ثم الاستنتاج والبرهان العقلي، ويتوج تلك العمليات الفكرية بالوصول إلى حقيقة العلم والمعرفة المتمثلة في الإقرار بالإلوهية والربوبية لله عزّ وجلّ (الجلاد، ٢٠٠٤م، ٤٣) .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤) .

## رابعًا: توضيح القرآن الكريم لمعالم الشخصية الإنسانية:

أرسى القرآن الكريم معالم الشخصية الإنسانية في أبعادها كافة الجسمية والعقلية، جسماً مادياً في تكوينه وخلقه من ماء وتراب، وأبعاده العقلية وقدراته وملكاته في التعليم والتفكر وأشواقه الوجدانية في المحبة والعبادة واللجوء إلى الله عزّ وجلّ.

وخير ما يجلي حقيقة الشخصية الإنسانية الآدمية هو ما تضمنته الآيات الكريمة في قصة آدم عليه السلام والتي

جاءت تفصيلاتها وأسرارها في سبع سور من القرآن الكريم وهي : (البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص) .

**وأهم تلك الحقائق الرئيسية حول الإنسانية:**

- إن الإنسان مخلوق من مخلوقات الله خلقه الله بيديه وفضله على سائر مخلوقاته،قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠) .
- الإنسان مكون من عنصرين هما الطين المتمثل في الجانب المادي من الإنسان، والروح وهي سر وجود الإنسان الذي منحه التكليف قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩) .
- وُهب الإنسان العقل الذي هو مناط التكليف وأُعطي الإرادة في اختيار أفعاله، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥) .
- إن الشخصية الإنسانية تملك القابلية للارتقاء والسمو نحو الفضيلة والحق والإيمان إذا أطاعت الله سبحانه وتعالى، كما أنها عرضة للتردي في الشرك والكفر والغواية إذا عصته وخالفت أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١) .
- إن إبليس عدو للإنسان وتعهده بغوايته وإضلاله وأنه استطاع غواية آدم والوسوسة إليه من خلال الاستعدادات الفطرية التي أعطتها وهي حب البقاء وحب التملك، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠) .

- إن الإنسان منح التوبة والمغفرة من الله سبحانه، وأهبط إلى الأرض لعمارتها والاستخلاف فيها، وإنه مكلف نيط به شرع الله واتباع هداه، وأن مصيره الموت فالبعث فالحساب، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣) ، (ماجد الجلاد، ٢٠٠٤م، ٤٣-٤٤) .

ويرى الباحث في هذا المجال (الأساس المعرفي) أن يركز على الأفكار الأساسية في البنية المعرفية وهي:

- المفاهيم المفتاحية.
- المبادئ الأساسية والتعميمات.
- طرق البحث في المواد العلمية على اختلافها.

فلكل بنية معرفية أسلوب بحث خاص في مجالاتها المعنية جنباً إلى جنب، وعلى واضعي المنهج مراعاة الآتي في هذا الأساس المعرفي.

- التركيز على أساسيات البنية المعرفية تضميناً في المنهج.
- التركيز على إكساب مهارات البحث العلمي جنباً إلى جنب مع بنية المعرفة في كافة مجالاتها.
- تعلم التفكير كسمة إنسانية تجعل المتعلم أكثر استقلالاً وابتكاراً وإنتاجاً.
- التركيز على المعارف المهنية والفنية بوصفها أكثر ملائمة لروح العصر وثقافة المجتمع.
- جعل معيار التفوق متمثلاً في امتلاك المهارات واستخدامها بدلاً من الحفظ والاستظهار للمعلومات.
- جعل معيار التميز التمسك بالقيم منهجاً وسلوكاً بدلاً من الحفظ والاستظهار.

## المبحث الثالث

## الأساس النفسي

تعد طبيعة المتعلم وخصائص نموه منطلقاً مهماً في بناء المنهج، وقد التفت الإسلام إلى هذا الأساس بصورة واضحة، إذ يعد معرفة النفس البشرية هي مفتاح المعرفة إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت: ٥٣) ، لقد ذهب أبو حامدٍ الغزالي إلى أن معرفة طبيعة الإنسان من حيث خصائص نموه وحاجاته وميوله واهتماماته يعطينا تصوراً كاملاً للنفس البشرية (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ١٢٥) .

من أهم الموضوعات التي تتعلق بالأساس النفسي هي: خصائص النمو، ومراحل النمو.

المطلب الأول

## خصائص النمو

من أهم تلك الخصائص المتعلقة بهذا البحث هي:

**النمو عملية فردية:**

تختلف جوانب النمو من فرد إلى آخر، وهذا يفرض على المنهج توفير خبرات متنوعة ومتدرجة في المستوى ليحقق كل فرد ذاته، كما يفرض التنوع في التدريس والأنشطة والوسائل وأساليب التقويم بالقدر الذي يناسب الفروق الفردية.

**النمو عملية مستمرة ومتصلة:**

يتسم النمو بالاستمرار والاتصال فالحالة الراهنة للفرد هي المحصلة لحالته الماضية وتشكل حالته مستقبلاً، وعليه فإن المنهج يجب أن يقدم خبراته المربية على نحو يناسب خاصية الاستمرار بحيث تستند الخبرات المراد تعلمها إلى الخبرات السابقة وتمهد تلك الخبرات إلى اكتساب خبرات أخرى في المستقبل، وهذا يلزم بالآتي:

- الاهتمام بفكرة التتابع في عرض المفاهيم.
- التدرج في التعقيد وزيادة التعمق مع التقدم في المستويات التعليمية.

**النمو عملية شاملة متكاملة:**

تشمل عملية النمو جميع الجوانب عقلية، انفعالية، جسمية، اجتماعية، والعلاقة بين هذه الجوانب تقوم على أساس التفاعل، إذ كل جانب يؤثر على الآخر ويتأثر به، مما يفرض على المنهج تقديم خبرات وأنشطة تعليمية متنوعة ومترابطة تساعد على النمو الشامل حتى يمكن تخريج إنسان متكامل الشخصية، ومراعاة المواد الدراسية في المدى الأفقي والمدى الرأسي للمراحل التعليمية.

**النمو يسير من العام إلى الخاص:**

إن الإدراك بشكل عام والسلوك بشكل خاص يبدآن من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء ومن القاعدة إلى المصدر. لذا يقع على مخططي المنهج مسؤولية كبرى في تنظيم محتوى المنهج بالطريقة الكلية.

المطلب الثاني

## مراحل النمو

تمتاز مرحلة نمو الطالب الجامعي مرحلة تكليف أو رشد، وهي بداية التفكير المنطقي المجرد، والتفكير المجرد الذي يمارسه الطالب في هذه المرحلة هو تفكير يستند إلى قضايا ويميز الطلاب في انتقالهم من مستوى الاستقراء إلى الاستنباط، أي الانتقال من العام إلى الخاص، ووضع المقارنات وتكوين الفروض وإدراك المفاهيم المجردة وضبط المتغيرات.

ومن المهم تناوله هنا أن الدخول إلى الجامعات أصبح في أغلب الكليات العلمية خاصة صعب المنال، لأنها بداية العمليات المجردة وهي تضمين الطالب الاستمرار في تلك الكليات والانتقال من مرحلة الجمود إلى البحث والتفكير على مخططي المناهج تقديم موضوعات دراسية تثير التفكير.

- تتفاعل مع المجرد.
- تعمل على حل المشكلات.
- نقد وتقديم الآراء والأفكار.

حتى يتمكن الطالب من التوافق النفسي بين دوافعه ونوازعه المختلفة العلمية وعلاقته بالبيئة الخارجية بما فيها من موضوعات وأشخاص. (علي راشد، ٢٠٠٧م).

ولا يفوتني في هذا المكان أن أؤكد على محتويات المنهج في هذه المرحلة مرحلة التخصصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوظيفة التعلم وعلى واضعي المنهج صياغة أهدافه بشكل يجعلها متمركزة حول الحاجات المهنية لوظيفة التعلم.

المبحث الثالث

## الأساس الاجتماعي

تأتي أهمية الأساس الاجتماعي في بناء المناهج من أن التأثير بين المجتمع والمنهج متبادل ومستمر، لذا فهو أقوى الأسس تأثيراً في تحديد ملامح المنهج نظراً للطبيعة الخاصة بالمجتمع من حيث

تقاليده ومشكلاته وطموحاته، لذلك من الضروري أن يجري تحليل دقيق للمفاهيم والقيم والمبادئ التي يلزمها المجتمع ويسعى إلى إقامة الحياة على أساسها لتحديد الفلسفة التربوية التي يجب الالتزام بها في بناء المنهج.

المجتمع السوداني مجتمع هويته إسلامية يسعى لتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى، متفرد بتكافله الاجتماعي في الأفراح والأتراح، هجين بين العرب والزنوج، هذا التكوين يجعله مناط به الشهود على الأمة الأفريقية والعربية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣).

الشهود الحضاري سواء أكان على الذات أو على الآخر يتطلب قيماً ومبادئ ومعايير ثابتة ومنضبطة وواقعية بعيدة عن الهوى وجنوح الخيال، وليس من وضع الإنسان حتى لا يصبح الإنسان هو المعيار ومحل المعايرة في الوقت نفسه. (عمر عيد حسنة، ٢٠٠٧م).

وغني عن البيان بأن القرآن الكريم هو معيار وشاهد عن الكتب السابقة، وانتهت إليه فجاء مهيمناً عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

ومستلزمات الشهادة والريادة في عالم اليوم تتطلب عقيدة سليمة، ثقافة حية، التزام صارم بمنهج الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ

وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨) .

**وحركة الإنسان في كافة المجالات بهذه المعتقدات تكون ثقافية:**

وللثقافة تعريفات عديدة أهمها ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك وكل ما يقوم على ذلك من تجديدات وابتكارات ووسائل في حياة الناس.(الدمرداش ومنير كامل، ١٩٩١م) .

قال (عبد العزيز برغوث، ٢٠٠٥م) : للثقافة دور مهم في بناء الإنسان ،والدين مصدر أساس للقيم الإنسانية الأخلاقية والثقافية على حد سواء الدين حين يسهم في تشكيل القيم الأخلاقية والثقافية يشكلها باعتبارها قوى وطاقات للتوجيه والترشيد الإنساني ويقدم الآتي:

١- الرؤية الكونية العقدية يتصور الغيب والكون والحياة والإنسان.
٢- النموذج الحضاري الخاص بالإنسان الصالح والمجتمع المتماسك والثقافة الفاعلة والحضارة المتوازنة.
٣- المنهج التوجيهي لتجسيد دلالات ومعاني النموذج الحضاري.

والدين بذلك يكون قد وضع:

- الطاقة الحيوية البشرية.
- وضع الإنسان في الصورة الحقيقية والصحيحة لرسالته وواجبه لخليفة الله في هذا العالم.
- أهل الإنسان لممارسة دور حضاري فاعلٍ مستقيمٍ.

وبذلك تحقق الثقافة الإسلامية:

١- الأصالة، بحيث تصبح موجهاً تلقائياً في السلوكيات.
٢- الوقاية، إذ تحمي المتعلم من الذوبان في الكليات الأخرى.
٣- التميز، إذا أعلنت المضامين التي تعلمها المتعلم عن نفسها وأصبحت لمحة تميز إعلاناً للحق والجمال والخير.(إبراهيم محمد عطا، ٢٠٠٢م) .

ويرى الباحث أن هذا لا يمكن نيله إلا عبر رسوخ الإيمان وقوة اليقين بالتطبيق العملي للدين الإسلامي، وثقافته في هذا المجتمع في عمومياتها

وخصوصياتها وبديلاتها، حتى يكون المجتمع طابعة المميز وشخصية الثقافية وأهدافه وآماله وحاجاته ومطالبه.

ومهمة المنهج في ضوء هذا الأساس أن:

- يسهم في عملية التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية للمتعلمين في تكيفهم للمجتمع الإسلامي تكيفاً كاملاً.
- إعدادهم المسؤوليات والأدوار الاجتماعية في إخراج الأمة المسلمة.
- تكافلهم وتعاونهم واحترام واجباتهم وتقدير مسؤولياتهم تجاه التضحية والفداء في سبيل الدفاع عن العقيدة والوطن.
- صون التراث الإسلامي ونقله نقياً إلى الأجيال الناشئة من بعدهم.
- تجسيد قيم الدين في نماذج حياتية تستوعب حركتهم في إطار خارج عن قيد الزمان والمكان.
- تدعيم التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية لإثارة الاهتمام بمشكلات الأمة ومعالجتها.
- توسيع محتضن الأسرة قربة زمنية ومكانية لإزالة الفوارق الاجتماعية وتحطيم الحواجز النفسية.
- إكسابهم مهارات الكشف عن مصادر الثروة الطبيعية والاهتمام بدراستها والمحافظة عليها.
- تفقههم بالمعارف والمهارات والتكنولوجيا التي تزيد من إنتاجهم ومساهمتهم في بناء الأمة.
- إشاعة مهارات التواصل الاجتماعي.

## الخاتمـــــة

جاء هذا البحث في أساسه الفلسفي، المعرفي، النفسي، والاجتماعي، وهي أسس نابعة من الدين الإسلامي، كل منها يفضي إلى الآخر ويمسك بعضها برقاب الآخر في وضع التخصص وظيفي في تكامل واستقلال ذاتي في تداعم ومتسقة علماً في بناء منهج رباني تزكوي يعمل على تطهير وتنمية هذا الطالب في تحقيق الغاية التربوية من تشكيل لإرادته وتوجيه لميوله ورعاية لقابليته واكتشاف لقدراته وتزويده بالمهارات وتمسك بالقيم.

## النتائـــــج

توصل الباحث من أجل بناء مناهج مؤصلة إلى الآتي:

١- بناء المناهج على أساس الوحي تكامل للفطرة السليمة التي ولد بها الإنسان.

٢- تنظيم محتوى المادة العلمية في نسق منهجي متدرج يشكل في المدى البعيد نسقاً معرفياً منظماً في ذهن الطالب يكون سوقاً للمادة العلمية.

٣- المرجعية الحاكمة للدين تولد القدوة الحية والنموذج المتحرك للمسلم.

## التوصيـــــات

يوصي الباحث:

- إقامة نظام التعليم (العالي- العام) على أساس معرفي، قيمي، اعتقادي.
- تأصيل مناهج التعليم (العالي، العام).
- مراعاة وظيفة التعلم وفقاً للميول والإرادة حتى نقلل من عملية الفاقد التربوي الذي أصبح ممتداً بعد التخرج.
- الاهتمام ببناء المناهج التقنية مواكبة مع تطورات العالم.
- جعل معايير للتفوق بامتلاك المهارات وللتميز التمسك بالقيم.

## المصـــــــادر


- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، ج١.


## المراجـــــــع


- إبراهيم محمد عطا، الثابت في المناهج الدراسية، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م.
- إسحاق أحمد الفرحان، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم، قطر، دار العلوم ١٣٩٩هـ.
- حسن جعفر خليفة، المنهج المدرسي المعاصر، الطبعة العاشرة، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠١٠م.
- عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الطبعة الأولى، فيرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.
- عبد الرحمن عدس، علم النفس التربوي نظرة معاصرة، عمان، دار الفكر، ١٩٩٨م.

- عبد الوهاب سر الختم، تأصيل العلوم التربوية، الطبعة الأولى، الخرطوم، معهد إسلام المعرفة، ٢٠٠٤م.
- ألدمرداش ومنير كامل، المناهج، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٩١م.
- على راشد، الجامعة والتدريس الجامعين بيروت، مكتبة الهلال، ٢٠٠٧م.
- عمر عيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة، الطبعة الأولى، فرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٩م.
- عمر محمد مزيان، أسلمه علم الاجتماع، معهد إسلام المعرفة، ٢٠٠١م.
- عماد الدين خليل، المدخل أسلمه المعرفة، الطبعة الأولى، معهد إسلام المعرفة، ١٩٩٥م.
- ماجد زكي الجلاد، التربية الإسلامية النظرية الأساليب العملية، الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة، ٢٠٠٤م.
- محمد عبد السلام العجمي، التربية الإسلامية، الأصول والتطبيقات، الطبعة الأولى، دار النشر الدولي، الرياض، ٢٠٠٦م.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ١٩٩٥م.

**الدوريات:**

- عباس محجوب، (أسلمه التربية) ، مجلة تفكر، معهد إسلام المعرفة، العدد الرابع، ٢٠٠٠م.
- محجوب عبيد، (تأصيل المعرفة) ، سلسلة رسائل البعث الحضاري، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ١٩٩٥م.
- عبد الرحيم علي (منهج النبوة في الإصلاح الاجتماعي) ، سلسلة البعث الحضاري، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ١٩٩٥م.
- عمر عيد حسنة، (نحن والشهود الحضاري) ، كتاب الأمة، قطر، ٢٠٠١م.
- عبد العزيز برغوث، (دور الدين في تنمية الثقافة) ، مجلة تفكر، معهد إسلام المعرفة، ٢٠٠٥م.